

# أرني جبلاً

كيري يونغ

ترجمة محمد الجلجولي

بيت الكُتّاب الدّول

International Writers' House in Beirut

في بيروت



کنگستون، جمایکا

۱۹۶۶



# الفصل الأول

أُمسِكُ بالكيس الورقي، بكلتا يدي.

"هل أنت بخير؟"

أومأت برأسي إيجاباً.

جلستُ بمحاذاة في الممر. ركبتان متلاصقتان تضمُّهما بقوة تنورة ضيقة ذات لونٍ أزرقٍ داكن. واستندت بيدي واحدة على ذراع المقعد.

"المرّة الأولى؟"

هزّزت رأسي مرة أخرى بالإيجاب.

"الأمر سهل"، قالت. "أطير صعوداً وهبوطاً، صعوداً وهبوطاً، أسبوعاً تلو أسبوع. لم يُفرغ أحدٌ ما في جوفه حتى الآن. حتى لو شعروا برغبة في ذلك أحياناً"

ابتسمت.

"لا تقلقي حيال أي شيء. كابتن بايفيلد يعرف ما الذي يفعله. حصل على جناحيه في القوات الجوية الملكية، لا أقل من ذلك. لذا ينبغي أن يشعرك هذا بالراحة"، وربّبت على ذراعي برفق. "وفوق ذلك، فأنا هنا لأعتني بكِ بشكل خاص".



ثم وقفت ومشت بعيداً، بقبعتها تجثم على رأسها.

أعدتُ الكيس الورقي إلى جيب المقعد وأسندت ظهري إلى الخلف، بانتظار ما يؤكد ما قالته لي. كنت أرغم نفسي على تصديق أن كل شيء سيكون على ما يرام.

من خلال النافذة، كان باستطاعتي رؤية حركة السير على الأرض في الأسفل. الدرج المعدني الرمادي وهو يُنحَى. الأرضية المغبرة لشاحنة الحقائب وهي تسير مبتعدة. العربة المبردة وقد خلت من الأطعمة الجاهزة.

إلا أنني، إذ كنت أشاهد هذا كله، فإن الصورة في ذهني كانت تخصّه هو، يقوم بما أعرف أنه سيقوم به. في الملاذ الذي يعرفه أكثر من غيره. الكاتدرائية. مستلقٍ على وجهه، في وضعية سجودٍ على أرضية الرخام الباردة أمام المذبح. وسط الغمامة المعتمة. ذراعاه ممدودتان كالتمثال المعلق على الصليب المرتفع أمامه. تلك هي الصورة التي لم أتمكن من إزاحتها.

يحصل ترنج مفاجئ، ونبدأ بالحركة، فيما المضيفة تسير عائدةً عبر القمرة للتأكد من أن أحزمة الأمان للجميع مربوطةٌ بإحكام. نظرتُ إليّ في ابتسامة سريعة لتشجيعي. بعدها بلحظة، صدرت طقطقة خفيفة على مكبر الصوت، تلتها تعليمات القبطان "الرجاء الاستعداد للإقلاع".

يومض مطار باليسادوس في وجهي فيما تسير الطائرة على المدرج. أخذتُ نفساً عميقاً وبطيئاً، لأن شيئاً في قلبي يعرف أنه لم يكن مجرد وداع. كان فراقاً. بهذا القدر من النهائية كان شعوري. لا مزيد من التلال وفيرة الخضرة والشلالات المتدفقة. لا مزيد من أشجار جوز الهند أو بساتين البامبو أو غابات الفيرن غولي. لا مزيد من البوغنفيليا أو الهيبسكس أو الأوركيدا البرية. لا مزيد من أزهار ليغنم فيتا. لا مزيد من اعتصار الرمل الأبيض الدافئ لتهر دن بين أصابع قدمي، أو الإنصات لفرقة أرجل الجداجد مع حلول المساء. لا مزيد من تلقّي النسيم المالح للبحر على وجهي، أو تذوقه على شفتي. أو تنسّم الرائحة الحلوة اللاذعة لليوكالبتوس. لا مزيد من مشاهدة غروب نيغريل من كوخ في أعلى منحدرات أقصى الغرب. كل ذلك كان يسير مبتعداً، يزحف من خلالي، مشهداً تلو آخر، عبر نافذة الطائرة. مبانٍ إسمنتية منخفضة، شجيرات، أريافاً جافة



ومسفوعة ومتهشمة تحت شمس الكاريبي. تتلاشى. تتبخركبقايا مطر متعفن تتصاعد من مَرَجَةٍ ذات ظهيرة حارة.

تذكرت البطاقة التي أرسلتها إلى غلوريا كامبل. تلك التي كتبتها قبل بضعة أيام وتركتها في صندوق البريد قبل بوابة المغادرة مباشرة. وسط كل ذلك الهياج. مجرد بطاقة بريدية عادية كالتى يقبل عليها السياح. مع صورة للعلم الجامايكي، أصفر، أسود وأخضر، وشلالات نهر دَن، وغروبٍ على شاطئ نيجريل. "اعتني به. لقد كنتِ دوماً زوجةً له أكثر مما كنتُ أنا يوماً."

تهدر محركات الطائرة في الوقت الذي ترفع خطمها في الهواء. تفارق عجلاتها الأرض. الأمامي أولاً، تتبعه الأخرى. تأخذني بعيداً عن جمايكا. جميلةٌ هي جداً. مفعمةٌ بالحياة. غضةٌ جداً وممتلئةٌ بالوعد والإمكانات. بلادي التي عشقتها دون أن أعرف كيف أساعدها. لم أصلح يوماً لشيء، إلا في أن أقف دوماً في الجانب الخاطئ.

بعدها تحدث اندفاعاً مفاجئاً، إذ نرتفع فوق الجبال الزرقاء متجهين شمالاً. بعيداً في السماء الزرقاء الصافية. فكرت في نصف الرسالة المكتوبة في حقيبتي. ليست من قبيل تلك النماذج الزرقاء المدفوعة مسبقاً، وإنما بالفعل ورقة بريدية بيضاء، في مغلف ينبغي عليّ ختمه وإرساله بعد هبوطي. كان هذا أقل ما يستحقه.

تُطفأ إشارة ربط الأحزمة. انحنيتُ لأفك الحزام، فرأيت شحوب يدي. أكثرُ بياضاً من أن أكون سوداء. أكثرُ صينيَّةً من أن أكون بيضاء. تجاهلتُ قشعيرةً أصابتنى. فات الأوان الآن. كنت أمضي في طريقي، وأنا أفعل الشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به. اتخذت قراري بأن أحياء.



# **Show Me a Mountain**

Kerry Young

Bloomsbury Publishing PLC

